

# القافية في اللغة والعروض والموسيقى

للدكتور محمد بن نصار

يتركب المجرد اللغوي من القافية من ثلاثة حروف: اثنان منها صحيحان، وهما القاف والفاء، والثالث احد حروف العلة، وكان هذا الحرف ألفاً، وكان ياء، وكان واوا بل كان همزة أيضاً. وبدل تتبع صيغ هذا المجرد ومعانيه على أنه ذو ثلاثة معانٍ أصلية، تدور حولها سائر معانيه الفرعية.

القفاء: حكاه ابن جني، وعَلَّل به جمعهم إياه على أَقْفِيَّة.  
القَفْيِيَّ (١).

(١) فأول معنى أصلي له هو الآخر، وأرجح أنه أقدم معانيه وأشهرها وأكثرها تفرعاً. فالقفا: مؤخر العُنُق. مذكر ومؤنث. ومنه قيل:

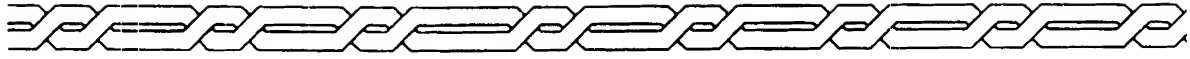
القافية في حديث مرفوع: «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد فإذا قام من الليل فتوضأ انحلت عقده». قال أبو عبيدة: يعني بالقافية القفا. وقيل: قافية الرأس: مؤخره - وقيل: وسطه (٢) - أراد تثقيله في النوم وإطالته فكأنه قد شدَّ عليه شدادا وعقده ثلاث عقد.

قفا الجبل: وراءه وخلفه.  
وقفا الأكمة: ظهرها. يقال: هو قفا الأكمة، وبقفاها: أي بظهرها.  
وقفا الدهر: يقال: لا أفعله قفا الدهر: أي طول الدهر، يعني أبداً.

واستخدم العرب - جميعاً أو قبائل منهم - عدة ألفاظ من هذا المجرد بمعنى القفا، وان لم تَفْشُ فُشُوهُ، فقالوا:

القَفْنُ (٣).

(١) أخشى أن تكون هذه الصيغة غير صحيحة، وأن راويها خدعته لغة طيء، التي تتضح في الخبر التالي. قال في اللسان: «وفي حديث طلحة: فوضعوا النج على قفي، أي وضعوا السيف على قفائي، وهي لغة طائية يشددون باء التكلم بادغامها مع الألف.  
(٢) أشك في هذا المعنى.  
(٣) أخشى أن تكون التالية، وضبطت في اللسان خطأ.



الْقَفْنُ. أنشد الراجز في ابنه<sup>(١)</sup>:

وأنت - يا بُنَيَّ - فاعلم أنّي

أحبُّ منك مَعْقِدَ الوُشْحَنِ

وموضعَ الإِزارِ والقَفْنِ

القَفَّانُ<sup>(٢)</sup>. قال عمر بن الخطاب: «اني

لأستعمل الرجل القوي، وغيره خير منه، ثم

أكون على قفانه...» يعني على قفاه. قال أبو

عبيد: قفان كل شيء : جماعه واستقصاء

معرفة، يقول: أكون على تتبع أمره حتى

أستقصى علمه وأعرفه، والنون زائدة. قال:

ولا أحسب هذه الكلمة عربية إنما أصلها قَبَان .

ومنه قولهم: فلان قَبَان على فلان: إذا كان

بمنزلة الأمين عليه والرئيس الذي يتتبع أمره

ويحاسبه، ولهذا قيل للميزان الذي يقال له

القَبَان: قبان. وأما الأصمعي فقال: قفان:

قبان، بالباء التي بين الباء والفاء أعربت

باخلاصها فاء، وقد يجوز اخلاصها باء. واذن

فهذه الكلمة معربة وليست من المجرد الذي

أتحدّث عنه.

ولما استقرَّ هذا المعنى اشتقوا منه صيغاً

للدلالة على الأحداث المتصلة به فقالوا:

قَفَّوتُهُ، وَقَفَّيتُهُ، وَقَفَّنتُهُ، وَقَفَّيتُهُ، واستَقَفَّيتُهُ

بالعصا: ضربت قفاه، أو جئته من خلف

فضربته بها.

قَفْنْتُ الشاةَ وأَقْتَنَفْتُها: ذبحتها من القفا

فأبنتُ رأسها. ثم صار القَفْنُ الذبيح مع إبانة

الرأس من الخلف أو الأمام فالشاة قَفْيَةٌ وَقَفْيِينَةٌ .

قَفَّوتُهُ، وَقَفَّيتُهُ، وَقَفَّنتُهُ، وأَقْتَفَّتُهُ،

وَأَسْتَقَفَّيتُهُ، وَتَقَفَّيتُهُ: تبعته أو تبعته أثره .

قَفَّيتُهُ غيري، وبغيري: أتبعته إياه .

قَفَّيتُ على أثره بفلان: أتبعته إياه .

قَفَّا اللهُ أثره: عَفاه .

قَفَّي: ذهب مُولِيًّا، وكأنه أعطاه قفاه

وظهره. ومنه المُقَفِّي. في الحديث «أنا

محمد، وأحمد، والمُقَفِّي، والحاشر، ونيبي

الرحمة، ونيبي الملحمة». قال شمر:

المقفي: نحو العاقب، وهو المولَى الذهاب،

فكأن المعنى أنه آخر الأنبياء المتبوع لهم، فإذا

قَفَّي فلان نبي بعده .

قَفَّي عليه: ذهب به، والاسم منه القِفْوَةُ،

قال: «ومأربُ قَفَّي عليه العَرَمُ» ويقال للشيخ

إذا هَرَمَ: رُدَّ على قفاه، ورُدَّ قَفًّا .

القَفْيِيُّ والقَفْيِيَّةُ: الخَلْفُ. يقال: هذا قَفْيِي

الأشياخ وقَفْيَتُهُم: إذا كان الخلف منهم، لأنه

يقفو آثارهم .

(٢) المعنى الثاني الاختيار والإكرام ،

قالوا:

(١) اللسان: قفن. تليق القوافي ٦٣ .

(٢) انظر قف وقفن وقفا من اللسان والتاج .



واختلف اللغويون فقال بعضهم: معناه قذفه بما ليس فيه، وقال بعضهم الآخر: قذفه بما فيه وما ليس فيه.

وهذا المعنى مرتبط بالمعنى الأول أيضاً، والدليل على ذلك ما حكاه اللغويون أنفسهم وفسروه، قالوا: «قفا فلان فلاناً: أتبعه كلاماً قبيحاً»، وإذن فالمعنى الأول لمادة القاف والفاء والمعتل القفاء، ومنه انتقلت إلى الدلالة على المؤخرة، ومنها انشعبت بقية المعاني حاملة دلالاتها المختلفة، ناظرة إلى جوانب معينة، سائرة في اتجاهات متباينة، ولا يشد عن هذا غير أشياء نادر مثل القفو والقفوة بمعنى الغبار المتصل بالمطر، وهو من المهموز لا المعتل، ومثل القفية بمعنى الزبية، والقفية بمعنى الناحية، ولعلهم لحظوا فيهما شيئاً من التواري والخفاء.

### في الشعر

#### المعنى القديم:

استعمل العرب القافية إذن مرادفة للقفا، ثم للمؤخرة عامة، ثم اشتقوا الصيغ المتعددة لما لحظوا فيه التتبع، سواء كان حقيقياً أو مجازياً. ومن المجالات التي استخدموا فيها الكلمة الشعر، وعنده أقف، لأنه حقل دراستي.

استعمل العرب كلمة القافية في المجال الشعري منذ عهد بعيد. فقد وجدتها في شعر

القِفْوَة: الصَّفْوَة، وما اخترت من شيء، وما تكرم به الرجل.

القفاوة، والقفي، والقفية: ما تؤثر به الضيف.

القفي والقفية: المختار، والمزية تكون للإنسان على غيره، والضيف المكرم بمعنى مقفو والحفي المكرم.

قَفَوْتُ الرجلَ وأَقَفَيْتُهُ بالشيء: أثرته به.

أَقَفَى الرجلَ على صاحبه: فضله.

اقتفى الشيء، وتقفاه: اختاره.

اقتفى بالرجل، وتقفى: احتفى.

وأعتقد أن هذا المعنى ذو صلة بالمعنى السابق، فالاختيار يأتي بعد التبع والاستقصاء.

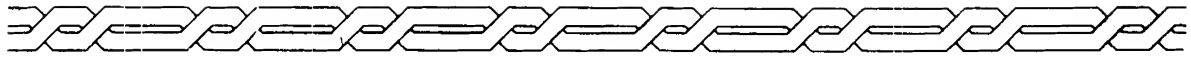
#### (٣) المعنى الثالث: نعيب، قالوا:

القفو، والقوف، والتقافي: القذف والبهتان يرمي به الرجل صاحبه.

القِفْوَة، والقفية: العيب، والذنب. يقال في المثل «رُبَّ سامعٍ عذرتي لم يسمع قفوتي».

القفي: القاذف.

قفا فلاناً: قذفه، أو قرّفه، أو رماه بأمر قبيح، أو رماه بالزنا، أو رماه بفجور صريح.



لا يَشْتَكِينُ الْمَأْمَأْمَأُ مَا أَبْقَيْنُ  
ما دام مُخٌّ فِي سُلَامَى أَوْ عَيْنُ  
فقلت: أين القافية؟ فقال: أنقن . . . وقد  
يجعل بعضهم القافية كلمتين .

سألت أعرابياً، وأنشد:  
بناتٍ وطَاءٍ على خَدِّ اللَّيْلِ  
لأُمٍّ من لم يَتَّخِذُهُنَّ الوَيْلُ

فقلت: أين القافية؟ فقال: خد الليل . لأنه  
إنما يريد الكلام الذي هو آخر البيت لا يُبالي  
قَلٌّ أو كَثُرٌ، بعد أن يكون آخر الكلام». وأعتقد  
أن هذا القول هو القول الصائب الذي يؤيد  
المعنى الأصيل للكلمة .

ولو نظرنا إلى بيت عبيد أيضاً كان لنا الحق  
أن نعد كلمة القوافي مقابلة للنثير، فنقول إن  
الشاعر أطلقها على الشعر عامة . ويدعم صحة  
هذا القول تفسير المرزوقي لقول القائل (٥):

بني عَمَّنَا: لا تذكروا الشعرَ بعدما

دفتنم بصحراءِ الغميرِ القوافيا

واحد من أقدم الشعراء الباقية دواوينهم عندنا،  
أعني عبيد بن الأبرص الأسدي "نبي قال (١):

سل الشعراء: هل سَبَّحُوا كَسَبَّحِ  
بحورَ الشعرِ أو غاصوا مَغاصي؟

لساني بالنثير، وبالقوافي  
وبالأسجاع أمهرُ في الغياص

ثم وجدتها تشيع على ألسنة المخضرمين  
من أمثال الأعشى والخنساء وكعب بن زهير  
وحسان بن ثابت (٢)، وتنتقل منهم إلى  
الإسلاميين ومن بعدهم إلى يومنا هذا .

وعندما حاول اللغويون الأوائل معرفة معنى  
الكلمة في الاستعمالات القديمة توصلوا إلى  
معناها العام ثم أخفقوا في معناها الدقيق  
القاطع . فلو نظرنا إليها في بيت عبيد كان لنا  
الحق أن نعدّها مقابلة للأسجاع، فنقول مع  
الجاحظ (٣): «القوافي: نحواتم أبيات الشعر»  
ويدعم صحة هذا القول ما رواه الأخفش عن  
بعض العرب حين قال (٤):

«أنشد أحدهم:

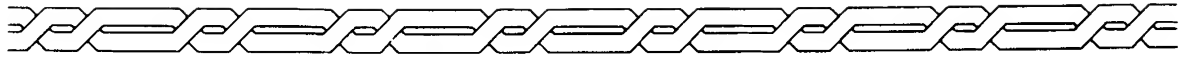
(١) ديوانه ٧٦ - ٧٧ . التنوخي ٣٠ - ٣٢ ، ٣٤ ، ٥٨ ، ٥٩ .

(٢) الأخفش ٣ ، ٤ . الموشح ١٣ ، ١٤٨ . ابن السراج ٩٩ .

(٣) البيان ١ : ١٧٩ .

(٤) ١ - ٣ . ما أنقن: أي ما كان تعظامهم نقي، وهو المخ . ويقال إن المخ يبقى في السلامى والعين بعد أن يذهب من جميع العظام حين تهزل الدابة .  
والسلامى: كل عظم مجوف من صغار العظام كعظام الأصابع . وبنات وطاء: الخيل أو الإبل، يريد أنهن يذللن الليل حتى كأنهن بصرعته فيذللن  
خده .

(٥) شرح الحماسة ١ : ١٢٤ .



أشارت بمدراها، وقالت لتربها:

أعبد بني الحسحاس يزجي القوافيا

والحق أن التفرقة بين المعنيين الأخيرين في  
بعض المواضع متعذرة.

وإذن نستطيع أن نقول: ان العرب استعملوا  
كلمة القافية في المجال الشعري وأطلقوها في  
أول الأمر على آخر البيت، دون أن يحددوا  
قдрاً معيناً منه، ثم اتسعوا بها فأطلقوها على  
البيت كله، ولم يقف الاتساع عند هذا النطاق  
بل ازداد حتى حوى القصيدة كلها.

وقد حاول بعض القدماء أن يعللوا كل  
مرحلة من مراحل هذا الاتساع، وخاصة  
المرحلة الأولى التي وقف عندها كل من  
تعرض لتعريف القافية. قال الأخفش<sup>(٥)</sup> يعلل  
تسمية القافية باسمها: «إنما قيل لها قافية لأنها  
تقفو الكلام». وفسر التبريزي<sup>(٦)</sup> هذا القول  
فقال: «أي تجيء في آخره».

وقال ابن دريد<sup>(٧)</sup>: «سميت قوافي لأن

وذهب التبريزي<sup>(١)</sup> إلى أن القوافي هنا  
بمعنى القصائد، وذلك هو المعنى الذي قال به  
كثير من اللغويين في كثير من الأشعار. قال  
الأخفش<sup>(٢)</sup>: «بعض العرب يجعل القوافي  
القصائد. وسمعت أعرابياً يقول: عنده قواف  
كثيرة. فقلت: وما القوافي؟ فقال: القصائد.  
وسألت آخر فصيحاً، فقال: القافية:  
القصيدة. وأنشد:

وقافية مثل حد السنا

ن تبقى، ويهلك من قالها

يعني القصيدة».

وقال كثيرون: القافية: البيت المفرد. قال  
الأخفش<sup>(٣)</sup>: «قد جعل بعض العرب البيت  
قافية. قال حسان:

فنحكّم بالقوافي من هجانا

ونضرب حين تختلط الدماء»

وقال التنوخي<sup>(٤)</sup>: «قال بعضهم: القافية:

البيت. واحتجّ بقول سحيم عبد بني  
الحسحاس:

(١) شرح الحماسة ١: ٦٢ والكافي للتبريزي ١٤٩.

(٢) ٣. وانظر ابن السراج ٩٩، والتنوخي ٥٨.

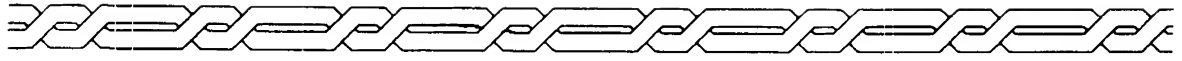
(٣) ٣. وانظر الكافي ١٤٩، والتلقيب ٤٨.

(٤) ٥٨.

(٥) ١.

(٦) الكافي ١٤٩. وانظر التلقيب ٤٨، والتنوخي ٥٥، والارشاد ١٢٨، والنبذة ٣٠.

(٧) التنوخي ٥٧. والارشاد ١٢٨.



الثاني والثالث، تخلصاً من المأزق أيضاً، قال<sup>(٥)</sup>: «الأحسن أن يفصل ويقال: التي في البيت الأول بمعنى متبوعة لأنها لا تتبع وغيرها يتبعها، والتي في الأخير بمعنى تابعة لأنها تتبع غيرها وغيرها (لا) يتبعها، واللاتي فيما بين الأول والأخير فبالنسبة إلى ما قبلها بمعنى تابعة، وبالنسبة إلى ما بعدها بمعنى متبوعة».

والحق الجلي أننا إذا تمسكنا بالمعنى الأصيل للكلمة لم نحتج إلى أي تبرير ولم نفع في مأزق ما. فقافية البيت المفرد هي قفاه، أعني آخره. وقافية الأبيات المتتابعة في قصيدة واحدة أو آخرها التي يتبع بعضها بعضاً. وفي زمن مجهول اتفقت أذواق شعراء العرب على إخضاع هذه الأواخر لوحدة، استمرت في الاتساع وتعميق الجذور حتى شملت الشعر كله، وحوّت حروفاً وحركات متعددة، فتبيّنت التبعية فيها على حين كان تأخر الموضع أصل التسمية.

وعلل ابن كيسان المرحلة الثانية من مراحل اتساع كلمة القافية، وهي التي أطلقت فيها على البيت كله، فقال<sup>(٦)</sup>: «يجوز أن يكون

بعضها يتلو بعضاً أو كما قال ابن كيسان<sup>(١)</sup>: «إنما سمي الحرف قافية لأنه يقفوما تقدمه من الحروف».

ورجح الدمهوري القول الأول حين قال<sup>(٢)</sup>: «الأول أولى، لأن الوجه الثاني لا يجيء في قافية البيت المفرد ولا في قافية البيت الأول من جملة أبيات». ويبدو أنه لم يطلع على تبرير التنوخي<sup>(٣)</sup> في قوله: «هذا المعنى غير موجود في القافية الأولى إلا أن يراد بتسميتها قافية أنها تصلح أن تكون في موضع ما بعدها، كما يقال: (هذا ثوب مدفء، وطعام مشبع، وماء طهور) أي يصلح أن يكون منه ذلك».

وذهب أبو موسى الحامض<sup>(٤)</sup> في تعليل تسمية القافية إلى أنها سميت قافية لأنها فاعلة بمعنى مفعولة، كما يقال: (عيشة راضية) بمعنى مرضية، كأن الشاعر يقفوها أي يتبعها ويطلبها. ومن الواضح أن هذا القول يحاول أن يفر من المأزق الذي وقع فيه القول السابق عليه.

وأغرب العلل تلك التي جاء بها محسن القيصري، وحاول أن يوفق فيها بين القولين

(١) التلقيب ٤٨. وانظر ابن السراج ٩٧.

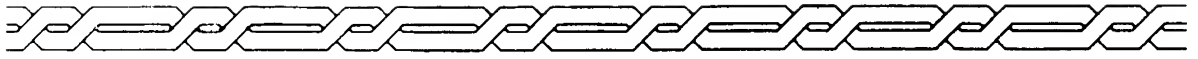
(٢) الارشاد الشافي ١٢٨.

(٣) ٥٧.

(٤) التنوخي ٥٧. العمدة ١ : ١٥٤.

(٥) شرحه على أبي الجيوش ١٣.

(٦) التلقيب ٤٨.



من المحتمّ عليهم أن يحددوا معانيها تحديداً علمياً دقيقاً. أما المعنيان الثاني والثالث فتركوهما في المجال اللغوي، وأبوا عليهما أن يكونا من مصطلحاتهم.

وأما المعنى الأول - أعني آخر البيت - فقبلوه، وأخضعوه لبحثهم وتصوراتهم، فاختلّفوا فيه. وقد جمع ابن القطاع أقوالهم فوجدتها سبعة<sup>(٥)</sup>.

وإذا تأملنا هذه الأقوال وجدنا مجموعة لغوية أو أقرب ما تكون إلى المعنى اللغوي وأولها القول الذي رواه الأخفش ورفضه في قوله<sup>(٦)</sup>: «من زعم أن النصف الآخر كله قافية قلت له: فما بأله - إذا بُني البيت كله إلا الكلمة التي هي آخره - قيل: بقيت القافية ولو قال لك شاعر: اجمع لي قوافي، لم تجمع له أنصافاً، وإنما تجمع له كلمات نحو غلام وسلام».

سمّي قافية بالحرف الذي فيه». وأعتقد أن رأي الدكتور المختون شرح لهذا القول، قال<sup>(١)</sup>: «يجوز أن يسمى البيت كله قافية مجازاً من باب تسمية الكل باسم الجزء».

وعلّل ابن السراج المرحلة الثالثة فقال<sup>(٢)</sup>: «فانما سميت القصيدة قافية لاشتغالها على القوافي واتصالها بها».

وجمع المرزوقي علل المراحل الثلاث في قوله<sup>(٣)</sup>: «القافية: آخر البيت... وهم يسمون البيت بأسره قافية لاشتغاله على القافية، والقصيدة بأبياتها قافية لاشتغالها على الأبيات المقفاة»<sup>(٤)</sup>.

#### المعنى الاصطلاحي:

واستمرت كلمة القافية مستعملة بالمعاني الثلاثة، إلى أن وضع العرب علمي العروض والقوافي واتخذوها من مصطلحاتهم. فكان

(١) دراسة نظرية ١٣٤.

(٢) ٩٩.

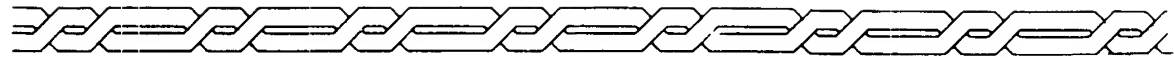
(٣) شرح ديوان الحماسة ٢ : ٦٠٧.

(٤) وتعدى الأمر الاسم، فاشتقوا منه صيغا أخرى، فقالوا: قفّيت الشعر تقفية: أي جعلت له قافية.

(٥) شرح التيسير ٦٨، وخط الشيخ زكريا وجبران خليل فوثبه الأقوال اللغوية بالعروضية وأقوال أخرى غريبة، فصار مجموع الأقوال عندهما ١٢. قيل في البسط الشافي (ص ١٠٩): «قد اختلف في حدّ القافية على اثني عشر قولاً، كما في شرح الشيخ زكريا على الخزرجية.

(١) فقيل: هي الكلمة الأخيرة من البيت. (٢) وقيل: مجموع الساكنين اللذين في آخر البيت وما بينهما من المتحركات، مع المتحرك الذي قبل الساكن الأول. وبعض العروضيين يجعل أول القافية الحركة التي قبل الساكن الأول. فعلى القول الأول يكون الحرف المتحرك وحركته معاً من القافية، وعلى الثاني تكون الحركة منها فقط، وليس للحرف المتحرك بها دخل في القافية. (٣) أنها روي البيت. (٤) أنها ما يلزم الشاعر اعادته من آخر البيت من حرف وحركة. (٥) أنها حرفاً ختام البيت (٦) أنها جزء آخر البيت (٧) أنها بعض جزئه. (٨) الجزآن الأخيران. (٩) الجزء الأخير. (١٠) بعض آخر المصراع الأخير من البيت (١١) كل البيت. (١٢) كل القصيدة»

(٦) ٥.



إلى العروض، فلا تأبه إلاً للجانب الصوتي وتشتمل على ثلاثة أقوال أيضاً. وأبدأ بالقول الذي اقتصر صاحبه على آخر صوت مفرد في البيت، رآه يتكرر في أبيات القصيدة الواحدة مهما طالت، فأعلن أن القافية هي ذلك الصوت أو ذلك الحرف، الذي نعرفه باسم آخر هو «الرؤي». ولم يفرق صاحب هذا القول بين الكلمتين. ولا زلنا - نحن أبناء اليوم - نذهب هذا المذهب في كثير من أقوالنا حين نعمد إلى التيسير على أنفسنا وعلى من نخاطبه، لأن كلمة القافية وجدت من الشيوع ما لم تجده كلمة الروي. واختلف الكتاب في صاحب هذا الرأي فلم ينسبه الأخفش<sup>(٤)</sup>، ونسبه ابن السراج وابن رشيق<sup>(٥)</sup> إلى الفراء، والتنوخى<sup>(٦)</sup> وابن القطاع<sup>(٧)</sup> إلى قطرب وزاد ثانيهما أن أكثر الكوفيين تابعوه. وقال ابن كيسان<sup>(٨)</sup>: «قال الخليل: القافية: الحرف الذي يلزمه الشاعر في آخر كل بيت حتى يفرغ من شعره» فإذا صحَّ هذا القول كان الخليل أحد الذين ينسب إليهم هذا الرأي أيضاً.

ويبدو أن القول الثاني استقاه صاحبه من الأخفش دون أن يفتن إلى حقيقة موقفه وأبعاده. إذ ذهب إلى أن القافية هي الكلمتان الأخيرتان في البيت.

ويؤدي بنا هذا إلى الأخفش، فنراه قد أبان أن العرب قد أطلقوا لفظ القافية على آخر البيت دون أن يحدوده بكلمة أو اثنتين أو ثلاث. ثم أبان موقفه العروضي فجعل القافية آخر كلمة في البيت<sup>(١)</sup>، ورفض الأقوال الأخرى مفنداً إياها. ولكن ابن السراج<sup>(٢)</sup> أنكر دليله السابق إيراده في رفض عدَّ الشطر الثاني قافية وقال: «لا حجة في هذا لأنه لما لم يمكن تبعض الكلمة كتبت بكما لها». ولأنه ان أجاز (ينطلق) مع (يحترق) أجاز اختلاف القافية وان منعه خالف الاجماع». ورفض الدمنهوري<sup>(٣)</sup> رأيه أيضاً لأنه لو صحَّ لما اتفقوا على أن القوافي تسمى المتكاوس، وهي التي توالي بين ساكنيها أربعة أحرف متحركة، وقد سلم هو نفسه أنها قافية مع تركيبها من أكثر من كلمة. ووجدنا مجموعة عروضية أو أقرب ما تكون

(١) ١. ابن السراج ٩٨. التنوخى ٤٣ و ٥٩ الكافي ١٤٩.

(٢) الكافي ٩٨.

(٣) الارشاد ١٢٩.

(٤) ٤.

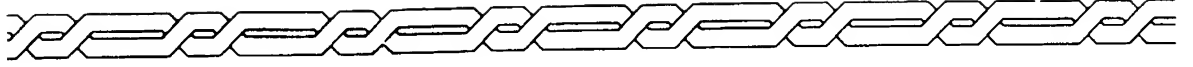
(٥) القوافي ٩٨. العمدة ١ : ١٥٣.

(٦) ٥٩.

(٧) شرح التيسير ٦٨.

(٨) التلقيب ٤٨.





وأظن أن تحريفاً ما لحق عبارة ابن كيسان، فإنّ أحداً لم ينسب إلى الخليل ما نسبه إليه، وإنما أجمع كل الكتاب على الرأي المعروف له بشقيه. وأميل إلى أن الفراء هو صاحب الرأي، معتمداً على أمرين: تأليفه كتاباً في القوافي ترجح بعض الظواهر رجوع الأخفش إليه ومتابعة الكوفيين إياه.

ومهما يكن من شيء، لم يرضَ سائر العلماء عن هذا الرأي. وأقام الأخفش رفضه إياه على الأدلة الآتية<sup>(١)</sup>:

١- يعتمد صاحب هذا الرأي على أن الروي ألزم حروف القافية، يلتزم الشاعر علته أو سلامته، وإليه تنسب القصيدة. ولكنه يوهم أنه لا يلزم أن يعاد سواه، وذلك غير صحيح.

٢- لو كانت القافية هي الروي لكان قول العجاج:

يا دارَ سلمى : يا اسلَمِي ثم اسلمي  
مع قوله : فِخْدَفُ هامةٌ هذا العالم  
غير معيب، لأن القافيتين - تبعاً لرأيه -  
متفقتان إذ كانتا ميمين، ولجاز (قال) مع (قيل)  
ولكن العرب إذا سمعوا مثل هذا قالوا:  
اختلفت القوافي، فدل هذا على أن القافية

ليست الروي وحده.

٣ - عدد الخليل حروف القافية وحركاتها، ووهب كلا منها اسماً خاصاً. فلو كانت القافية عنده هي الروي لم يكن ليفعل ذلك.

والرأي الثاني من الآراء العروضية حكاه ابن القطاع<sup>(٢)</sup> دون أن ينسبه إلى أحد ويقول: إن القافية هي الجزء العروضي الأخير من البيت مثل مفاعيلن في آخر الطويل أي التفعيلة الأخيرة.

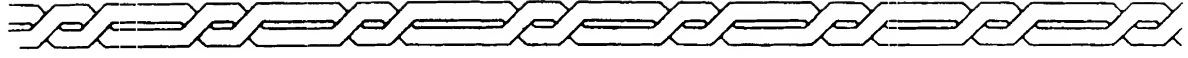
والرأي الثالث يحتاج إلى إحاطة بعلم القوافي لمعرفة، قال أبو موسى سليمان بن محمد بن أحمد الحامض (المتوفى ٣٠٥هـ)<sup>(٣)</sup>: «القافية: ما يلزم الشاعر تكريره في كل بيت من الحروف والحركات».

وأخيراً نصل إلى رأي الخليل، الذي أقامه على أساس رياضي صوتي وصاغه - فيما يبدو - في عبارة محتملة. بدأ بالنظر إلى آخر البيت ثم عاد به ناكصاً إلى أوله، وأظن أنه قال: القافية: من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع ما قبله أي مجموع الحروف المتحركة التي بين الساكنين الأخيرين في البيت، ان وجدت، مع ما قبل الساكن الأول وروداً في البيت منهما.

(١) ٤ - ٧. وانظر ابن السراج ٩٨.

(٢) شرح التيسير ٦٨.

(٣) لتنوخى ٥٩. ابن السراج ٩٧. وقال ابن رشيق في العمدة ١: ١٥٣ عنه: «كلام مختصر مليح الظاهر الا انه - اذا تأملته - كلام الخليل بعينه، لا زيادة فيه ولا نقصان».



التي ساقها، وعلى أن العرب يقولون البيت  
حتى إذا لم يبق منه إلا الكلمة الأخيرة قالوا:  
بقيت القافية .

واستحسن التبريزي<sup>(٦)</sup> قولي الخليل  
والأخفش معاً .

ولكن أكثر العلماء عدوا رأي الخليل أصحَّ  
الآراء، وأخذوا به .

د . حسين نصار

عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة

واختلف العلماء في فهم عبارة (ما قبل الساكن  
الأول) فذهب الأكثرون<sup>(١)</sup> إلى أنها تعني  
الحرف المتحرك السابق على هذا الساكن  
مباشرة، وذهب غيرهم<sup>(٢)</sup> إلى أنها تعني الحركة  
التي قبله لا الحرف . وظنَّ فريق ثالث<sup>(٣)</sup> أنهما  
قولان للخليل .

ونقد ابن السراج<sup>(٤)</sup> رأي الخليل بما نقد به  
رأي الأخفش .

وحكى فوتيه<sup>(٥)</sup> أن قوماً رجَّحوا قول  
الأخفش على قول الخليل، اعتماداً على الأدلة

(١) الأخفش ٦ . التبريزي ١٤٩ . التنوخي ٤٣ .

(٢) ابن السراج ٩٨ . شرح التيسير ٦٨ .

(٣) التنوخي ٥٩ . وفي عبارته خطأ، فالساكن يجب أن تكون المتحرك .

(٤) ٩٨ .

(٥) ١٠٠ .

(٦) الكافي ١٤٩ .